الفصل الأول

العلاقة بين الأمويين وبين الهاشميين والعباسيين

(أ) بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(ب) بين الهاشميين والأمويين في عهد الراشدين رضي الله عنهم.

(جـ) بين العباسيين والأمويين.

(أ) بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ:

الهاشميون: هم أبناء هاشم بن عبد مناف بن قصي، والأمويون: هم أبناء أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1]. إذن فالبيتان الهاشمي والأموي ينتميان إلى أبٍ واحد وهو: عبد مناف، وقد اختلف المؤرخون في وصف العلاقة التي كانتً تربط بينهما في الجاهلية فذهب فريق[2] منهم إلى أن هذه العلاقة لم تكن على ما يرام بينهما في هذه الفترة، واستدلوا على صحة دعواهم هذه بأدلة:

أحدها: أن منافرة[3] قد كانت بين هاشم وبين ابن أخيه أمية، وأن الكاهن أوالحكم الذي تنافرا إليه قد قضى لهاشم على أمية، وأغرمه خمسين من الإبل وأمر أن يتغربا عن مكة عشر سنين، وأن أمية قد نزل على هذا الحكم ودفع النياق، وذهب إلى الشام حيث قضى هذه الفترة.

وثانيها: أن نزاعاً[4] آخر، أو منافرة أخرى قد كانت بين حرب بن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرؤوف، ص ٧، جـ١، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، الناشر، دار الجيل - بيروت.
ابن جزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤، الناشر، دار المعارف مصر.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ج١، ص ٦٠ - ٦١، دار المعارف - مصر.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، جـ٢، ص ٢٥٣، دار سويدان - بيروت.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ص ٦٠ - ٦١.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٩، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. الناشر دار الكتاب العربي.

أمية، وبين عبد المطلب بن هاشم. وذلك لأن عبد المطلب قد كان له جار يهوديٌّ يعيش في جواره، وأن حرباً قد قتل هذا الجار، وسلبه ماله، وقد انتهى الأمر بين حرب وبين عبد المطلب بدفع الدية ورد المال.

وقد عزا هذا الفريق من المؤرخين[1] أسباب توتر العلاقة بين البيتين إلى أن الهاشميين قد كانوا يتولون الرئاسة الدينية في مكة، وأنهم هم الذين كانوا يتولون السقاية والرفادة. ومن أجل ذلك كانت تدبج فيهم الخطب وتنشد القصائد ومن ذلك على سبيل المثال:

تحـــمل هاشم مـــا ضـــاق عنه ... وأعـــيـــا أن يقـــوم به ابن بيضِ
أتاهم بالغـــرائر مـــتْـــأقَـــات ... من أرض الشـأم بالبـر النفـيض
فـــــأوسع أهـل مكة من هـشمٍ ... وشاب الخبز باللحم الغريضي[2]

أما الأمويون فلم يكن لهم في هذه الفترة من جوانب الشرف والرياسة سـوى اللواء[3]. وهي راية كـانت إليـهـم، وكـانـت ترفع أمـام القـوافل التجارية، والخارجة من مكة والعائدة إليها.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص ١٢٥،
البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٣) جـاء في العـقـد الفـريـد: أن هذا اللواء هو العـقـاب: وهو راية قـريش، فـإذا كـانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب، فإذا أجمعت قريش على أحد أعطوه العقاب، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٣، ص ٢٣٦، تحقيق محمد سعيد العريان، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت.

فكان طبيعي أن يحقد الأمويون على الهاشميين، وأن تكون العلاقة بينهم علاقة بغض وعداوة. وذهب الفريق الثاني من المؤرخين[1] إلى أن العلاقة بين البيتين الهاشمي والأموي، قد كانت علاقة حسنة، ولم يحدث بينهم طوال هذه الفترة ما يكدر الصفو، ويغري بالحقد والكيد، ودليلهم على هذا:

أن البيتين قد تقاسما أوج الشرف، وتبوءا قمة القيادة والزعامة في مكة وما حولها، فالرياسة الدينية كانت في أيدي الهاشميين، والرياسة المالية والاقتصادية كانت في أيدي الأمويين، فهم الذين كانوا يحرسون التجارة[2]، وهم الذين كانوا يرعونها في ذهابها وإيابها. وقد أجاب هذا الفريق على الأدلة التي أقامها معارضوه فقالوا: بالنسبة للدليل الأول: إن ما زعمه الإخباريون من المنافرة التي كانت بين هاشم وابن أخيه أمية لا أساس لها من الصحة، وذلك لأمور:

أحدها: تهافت[3] أسانيد هذه الروايات وضعفها.

وثانيها: ما ذكره المؤرخون من أن هاشم وعبد شمس كانا توأمين[4]. وأن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، ص ١٢٠.

(٢) الذي يدرس تاريخ أبي سفيان بن حرب، يجد هذه الحقيقة، فغزوة بدر مثلاً قد كان من أسبابها طلب النبي - ﷺ - للعير، وقد كان الذي يقوم بحراستها هو أبو سفيان، وهكذا الشأن في غزوات أخرى.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٤) توأمين: بمعنى المولود مع غيره في بطن من الاثنين فصاعداً، ذكراً أوأنثى، ويقال توأم للذكر، وتوأمة للأنثى، فإذا جمعا فهما توأمان وتوأم.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ١٠.

هاشماً قد مات في العشرين أوفيما يقاربها[1].

وإذن فإن أمية في الوقت الذي توفي فيه عمه قد كان طفلاً في العاشرة من عمره، فكيف يعقل والحالة هذه أن ينازع عمه وأن ينافره، ويحتكم وإياه إلى الكاهن، ومن أين جاءته النياق الخمسون التي دفعها له، وكيف يقضي الكاهن على طفل صغير كهذا بالبعد عن عش آبائه وأجداده عشر سنين.

إنه ليس لهذه الأسئلة كلها من جواب، سوى أن هذه المنافرة غير صحيحة. وقالوا: بالنسبة للدليل الثاني: إن العرب قد كانوا يرعون الجوار[2]. رعاية تامة وكان كل بيت أو كل فرد يعرف هذه العادات جيداً، فلا يعتدي على ما أجاره بيت أو فرد من أفراد القبيلة، فكيف جاز لحرب أن يخرق هذه العادات التي كانت قد قويت واستقرت ويعتدي على اليهودي الذي أجاره عبد المطب ويسلبه نفسه وماله. ويبقى الدليل الثالث والأخير: وقد أجاب عنه هذا الفريق[3] بأن البيت الأموي لم يكن من الخمول في الجاهلية كما وصفه الفريق الأول، وإنما كانت له منزلته ومكانته التي لم تكن تقل عن منزلة البيت الهاشمي ومكانته.

= ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص ٢٥٣.
الزاوى: القاموس المحيط، جـ١، ص ٣٨٣، طبعة ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ٦٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ١٠.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٢، ص ٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبيوية، ج١، ص ١٢٢.

ونحن نعرف ما للتجاره والمال من الأثر في رفعة قدر أصحابها ومنزلتهم. والذي يقارن بين ما أورده هذان الفريقان لا يسعه إلا أن يؤيد الفريق الثاني، لوضوح أدلته من جهة، ولأن الروايات التي اعتمد عليها الفريق الأول ليست من القوة والصحة بحيث يمكن الاعتماد عليها.

والذي نستطيع أن نقرره في هذا الموضوع هو: أن التنافس على الرياسة والشرف قد كان واضحاً بين البيتين إلا أنه لم يُخرج العلاقة بينهما في الجاهلية عما كان بين أبناء الأعمام من التسابق إلى منازل الرفعة وآواج المجد.

وجاء محمد - عليه الصلاة والسلام - وأعلن أنه نبي، وأن الوحي يهبط عليه من السماء، وهذه منزلة لا سبيل إلى الوصول إليها بجهد مهما جل، ولا بعمل مهما كثر واستمر، لأن النبوة لا تنال بكسل ولا برياضة، وإنما هي اصطفاء من الله تعالى واختيار. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]. وطبيعي أن يضايق هذا الادعاء البيت الأموي، ويملأ نفوس أفراده حنقاً وغيظاً، فقد سابقوا بني هاشم في كل شيء حتى إذا كانوا وإياهم على درجة من المجد والرفعة قالوا: منا نبي يوحى إليه. وهذه منزلة ليس إلى إدراكها من سبيل، وفي هذا يقول أحد رجالات قريش[2] وذوي المكانة والمنزلة

---

(١) قرآن كريم: سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٢) الواقدي المغازي والسير، تحقيق مارسون جونس، جـ١، ص ٣، الناشر، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ص ١٣٠، طبعة ١٣٨٨هـ، ١٩٩٦، دار المعارف بيروت.

فيها: « لقد تسابقنا وبني هاشم في كل شيء أطعموا فأطعمنا، وكسوا فكسونا، حتى إذا كنا وإياهم كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ».

وهذا النص يفسر لنا بوضوح السبب الذي من أجله آذى بنو أمية رسول الله - ﷺ- ووقفوا في سبيل دعوته طوال العهد المكي، وشطراً من العهد المدني.

فقد اتفقت الروايات على أن أكثر من ناصب الرسول - صلى الله عليه وسلم - العداء في مكة قد كانوا من بني أمية، ونذكر منهم على سبيل المثال: عقبة بن أبي معيط[1]. فإنه لم يكن يكتفي بإيذائه - ﷺ - باللسان، وإنما كان يحمل القذر حتى يضعه على عتبة داره. والحكم بن أبي العاصي[2] الذي أسلم ثم ارتد وعاد مرة أخرى إلى الإسلام، والذي بلغ به السفه والطيش حداً ينظر من خلل أبواب بيوت النبي - عليه الصلاة والسلام - ليرى ماذا يصنع هو وأزواجه.

وقد نفاه الرسول - ﷺ - إلى الربذة[3] وقد نزل القرآن الكريم في

---

(١) عقبه بن أبي معيط، واسم أبي معيط، أبان بن أبي عمرو بن أمية ويكنى أبا الوليد.
البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ١٤٧.

(٢) الحكم بن أبي العاصي بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٨٧.

(٣) الربذة: بفتح أوله وثانية، وذال معجمة مفتوحة أيضاً، والربذة: من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وبهذا الموضع قبر أبو ذر الغفاري، رحمه الله.
ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص ٢٤، الناشر، دار صادر - بيروت.

الكثير من أفراد هذا البيت مسجلاً عليهم إيذاءهم للدين وأهله.

ومن هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾[2]. وقوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[3] فالآية الأولى تحدثنا: عن رجل من بني أمية كان يزعم أن محمداً إنما يأتي بأخبار أكاسرة الفرس، وقياصرة الروم، ويقول: إنني سأنزل مثل ما أنزل الله عليه. والآية الثانية تحدثنا عن الوليد بن عقبة الذي بعثه النبي - ﷺ - إلى بعض القبائل لجمع صدقاتها فجبن عن الشخوص إليها وعاد إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - مدعياً أنها رفضت دفع هذه الصدقات، وكادت الحرب أن تكون بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبينها لولا أن أعلم الله نبيَهُ جلية الخبر. أما الآية الثالثة: أو الصورة الثالثة فإنها نزلت في أم جميل[4] وهي امرأة من بني أمية، قد كانت زوجاً لأبي لهب عم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكانت تبغضه وتؤذيه حتى إنها فسخت خطبة ولديها[5] لابنتي رسول الله - ﷺ -، عندما صدع بما أمر الله، وأعلن أن الوحي ينزل عليه من قبله، وقد أرجع بعض

---

(١) قرآن كريم: سورة الأنعام، آية ٩٣، (٢) قرآن كريم: سوة الحجرات، آية ٦.

(٣) قرآن كريم: سورة المسد.

(٤) أم جميل بنت حرب بن أمية، أم عتبة وعتيبة أبناء أبي لهب بن عبد المطلب.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١١٣

(٥) أسماء أبناء أبي لهب، عتبة، وعتيبة، وأسماء بنتي الرسول المخطوبتين لهما: رقية، وأم كلثوم.

الكتاب شدة عداوة أبي لهب للنبي - عليه الصلاة والسلام - إلى تأثير هذه المرأة الأموية عليه ورغبتها التي لا تنتهي في النيل منه.

ومهما ينسى التاريخ فلا ينسى سعيد بن العاصي[1] الذي كان من أشد المشركين عداوة لرسول الله - عليه الصلاه والسلام - في مكة، وقد بقي كذلك حتى وافاه الأجل، وبلغ من حقده على الإسلام ورسوله أنه طلب أن يقبر في الطائف حتى لا يجامع الرسول لا في الحياة، ولا بعد الممات.

ولو شئنا أن نستقصي ما كان من الأمويين للنبي - عليه الصلاة والسلام - في مكة لاحتجنا إلى الكثير من الجهد والوقت، ومن أجل هذا فسوف نكتفي بهذا الطرف اليسير، وننتقل إلى العلاقة بين النبي وبني هاشم من جهة، وبين الأمويين من جهة ثانية في المدينة.

وخلاصة ما ذكره المؤرخون حولها هو: أن الأمويين قد زادت عداوتهم للنبي - عليه الصلاة والسلام - خاصة ولبني هاشم على سبيل العموم في المدينة عنها في مكة، ذلك لأن محمداً - ﷺ - قد صارت له بعد الهجرة دولة وملك، وأنه قد أصبح قادراً على مناوءة قريش ومقاومتها، ومن يدري فقد يصرعها وتكون له الغلبة في النهاية عليها، ومن أجل هذا رأينا الأمويين يسهمون في كل غزوة تخرج من مكة لضرب المسلمين،

= ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ٢١٤.
البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ١٣٢.

(١) سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو أحيحة القرشي الأموي، وهو شاعر جاهلي، وكان من وجوه قريش، قتل يوم بدر كافراً.
ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، رتبه عبد القادر بدران، جـ٦، ص ١٣٣، ١٣٤ الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٦م، الناشر، دار المسيرة - بيروت.

وتقويض دعائم دولتهم لا يكتفون بهذا العمل وحسب، وإنما يخرجون إلى القبائل الضاربة في شبه الجزيرة فيستعدونها على محمد ﷺ ويتحالفون وإياها على حربه وقتاله، وقد كان لعميدهم وشيخهم أبي سفيان بن حرب في ذلك القدح المعلا والدور الظاهر الكبير، فهو الذي قاد الجيوش في أحد لمهاجمة المدينة، وهو الذي حزب الأحزاب لمباغتتها واستئصال الإسلام فيها في غزوة الخندق، وقد بقيت نار العداوة في قلبه فلم تنطفئ حتى دخل الإسلام في فتح مكة.

وإذا راجعنا أسماء[1] من حضروا الغزوات من المشركين بين بدر والفتح، رأينا أبناء الكثيرين منهم وأنهم كانوا من الأمويين، ولم يكن هؤلاء يشاركون في هذه المشاهد بالسيوف والرماح وحسب، وإنما كانوا يقومون بالتحريض والتزمير على القتال، وحتى النساء فإن التاريخ قد سجل للأمويات في هذه الغزوات مواقف ليس إلى إغفالها ولا نسيانها من سبيل، فهذه هند[2] زوجة أبي سفيان قد كانت تحرض المشركين على القتال في

---

(١) عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن الحارث بن أبي وجزة، أبو العاصي بن الربيع، صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته زينب، وخالد بن أسيد بن أبي العاص، وأربعة حلفاء لهم.

الواقدي: المغازي والسير، جـ١، ص ١٣٩.

ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ٢٥٧.

ابن حزم: جوامع السيرة، تحقيق حسن عباس، ناصر الدين الأسد، مراجعة أحمد شاكر، ص ١٤٩ - ١٥٠، الناشر، حديث أكادمي، فيصل آياده باكستان.

(٢) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، زوجة أبي سفيان بن حرب، أسلمت يوم الفتح.

ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٨، ص ٣٣٥، ٢٣٦، الناشر، دار صادر - بيروت.

غزوة أُحد وتقول: في ذلك من القصائد والأراجيز ما يهز العواطف ويثير المشاعر ومن ذلك على سبيل المثال[1].

نحن بنات طارق نمشي على النمارق مشي القطا البوارق
والمسك في المفارق والدر في المخانق إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

ومنه أيضاً قولها لبني عبد الدار وقد كانوا أصحاب ألوية الحرب في الجاهلية.

ويها[2] بني عبد الدار ويها حماة الأديار ضرباً بكل بتار

ومهما ينسى التاريخ فلا ينسى أن هنداً هي التي خططت لقتل حمزة عم النبي - عليه الصلاة والسلام - وهي التي بقرت بطنه واستخرجت كبده، ولم تكتف بهذه الشناعات، وإنما قطعت أذنيه وجعلتهما قرطين لها، حتى بعد أن اعتنقت الإسلام ونعمت ببرد ظله، فإنها لم تنس هذه العدواة فقد علقت على قول النبي - عليه الصلاة والسلام -، وهو يأخذ البيعة من النساء (ولا يقتلن أولادهن) فقالت: ربيناهم صغاراً، وقتلهم كباراً.

ولما نزلت آية الغنائم وفيها سهم ذي القربى قسمه النبي - ﷺ -، في بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط للأمويين منه شيئاً فقال: عثمان بن عفان

(١) الواقدي: المغازي والسير، جـ١، ص ٢٢٥.
ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٣، ص ٢٠.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٥١٠.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص ١٦.

- رضي الله عنه - [1] يا رسول الله لقد أعطيت بني المطلب دوننا، ونحن وإياهم من بني عبد مناف، قال: النبي - ﷺ - أولئك قوم لم يؤذونا لا في جاهلية ولا في إسلام.

ومن هذا التلخيص الموجز يتبين لنا: أن الأمويين قد كانوا أشد فصائل قريش أذىً للرسول، وأن العلاقة بينهم، وبين بني هاشم في المدينة قد كانت أسوأ منها في مكة، وحتى بعض من أسلم وحسن إسلامه من هؤلاء فإن هذه العداوة كانت تظهر من غير قصد ولا تعمد. ومن ذلك على سبيل المثال: ما كان من أبي حذيفة بن عتبة[2] فإنه لم يرضَ عن الرغبة التي أبداها رسول الله - ﷺ - نحو عمه العباس من نهي المسلمين عن قتله، فقد قال أبو حذيفة: نضرب آباءَنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس بن عبدالمطلب، والله لئن لقيته لألحمنه السيف. والدليل على أن هذه العداوة إنما بدت من غير قصد منه، أنه قد ندم على مقالته هذه وكان يرى أنه لا يكفرها سوى الاستشهاد في سبيل الله.

ومن حق بعض الأمويين علينا ومن الإنصاف للتاريخ، أن نقرر هنا أن

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، جـ٤، ص ١٩٩، الناشر، عالم الكتب بيروت.
الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. قرآن كريم: سورة الأنفال، آية ٤١.

(٢) أبو حذيفة عتبة بن ربيعه بن عبد شمس بن عبد مناف، واسمه مهشم، ويقال: هشيم، هاجر إلى الحبشة مرتين، ثم قدم فهاجر الى المدينة، وشهد بدراً، وقتل يوم اليمامة شهيداً، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.
البلاذري: أنساب الأشراف، ص ١٩٩.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٣، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

هذه العداوة قد كانت من الكثرة الغالبة من الأمويين، وأن القليلين منهم لم يكونوا يضمرون لبني هاشم سوى المحبة والمودة، ومن هؤلاء على سبيل المثال سعيد بن العاصي[1] وأخوه خالد[2] وعثمان بن عفان[3] - رضي الله عنهم - فإن هؤلاء قد خالط الإيمان شغاف قلوبهم، ، واستقر في سويداء أفئدتهم فلم يجعل لهذه العداوة مكاناً تحل فيه. على أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لم يدع هذه العداوة تتدهور هكذا إلى غير قرار، وإنما عمل جاهداً على تخفيض شوكتها، وإضعاف قوتها، وقد بذل في ذلك جهوداً منها:

أولاً: تكريمه لمن سبق إلى الإسلام، وأحسن البلاء في سبيله، وذلك مثل: عثمان بن عفان فقد زوجه من ابنتيه[4]. ووضع يده اليمنى في يده اليسرى[5]. وبايع بها نيابة عنه في بيعة الرضوان، وبشره بالجنة، وغادر هذه الدنيا وهو عنه راضٍ.

---

(١) سعيد بن العاصي بن سعيد بن أحيحة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى.
ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص ٣٠ - ٣١.

(٢) خالد بن العاصي بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، كان إسلامه قديماً.
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٤ - ٩٦.

(٣) أبو عبد الله عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف، أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وزوجه رسول الله من ابنتيه.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، جـ ١، ص ٢٩٤.

(٤) رقية، أم كلثوم.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ ٤، ص ١٨٦.
ابن حجر العسقلاني: الإصابه في تمييز الصحابة، جـ ١، ص ٣٩٢، الطبعة الأولى مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

ثانياً : تعظيمه لأبي سفيان، وابنه معاوية، فقد جعل لأبي سفيان يوم فتح مكة ما لم يجعله لغيره، وذلك حيث قال[1] : من دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقد أعطاه وأعطى ولده من الغنائم في حنين حتى رضي، وأضاف معاوية إلى الرجال الذين كانوا يكتبون بين يديه.

ثالثاً : ومنها استعماله للأمويين، وإسناده الكثير من المناصب الهامة إليهم. فقد أسند إلى عتاب بن أسيد[2] أمر مكة بعد فتحها، وجعل أبا سفيان، وسعيد بن العاصي[3] وأخاه خالداً على الصدقات.

وهكذا بذل النبي - عليه الصلاة والسلام - من جانبه الجهود المضنية حتى قرب بين بني أمية وبني هاشم، وأهال الرماد على ما كان بينهما من الإحن والعداوات. ونستطيع بعد هذا العرض الموجز للعلاقة بين الهاشميين، وبين الأمويين في حياة الرسول - ﷺ - أن نقول إنها قد مرت عبر مرحلتين.

كانت الأولى منهما: على غاية من العنف والشدة، وهي تلك التي بدأت ببعثة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وانتهت بفتح مكة.

وكانت الثانية: علاقة محبة ومودة، وهي التي تبدأ بفتح مكة، وتنتهي بوفاته - صلوات الله وسلامه عليه -.

---

(١) الإمام مسلم: صحيح مسلم، تحقيق، عبد الله أحمد أبو زينة، جـ٤، ص٤١٨، الناشر، دار الشعب.

(٢) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميه، ولاه رسول الله مكة إذ فتحها فبقي والياً عليها إلى أن مات - رحمه الله -.
ابن قتيبة: المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، ص٢٨٣، الطبعة الرابعة، دارالمعارف، القاهرة.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ص٥٢٩ - ٥٣٠.

(ب) بين الهاشميين والأمويين في عهد الراشدين رضي الله عنهم:

توفي رسول الله - ﷺ -، وكان الهاشميون لا يرتابون في أن الخلافة من بعده ستصير إليهم عامة، وإلى علي[1] - كرم الله وجهه - منهم خاصة، غير أن ما كانوا يظنونه شيئاً، وما أراده الله قد كان شيئاً آخر.

فقد بُويع أبو بكر[2] - رضي الله عنه - في السقيفة[3] من قِبل الأنصار، وبويع بعد ذلك في المسجد من قِبل سائر المسلمين.

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، كان صاحب لواء رسول الله- ﷺ - يوم بدر وفي كل مشهد، وتوفي - رحمه‌الله -يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين: وهو أول خليفة من بني هاشم، بويع بالخلافة يوم قتل عثمان بن عفان - رضي‌الله عنه -.

البغدادي: المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح ايلزه ليختن، ص ٧٠، الناشر المكتب التجاري للنشر، بيروت.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، ص ٢٦٦، الناشر، دار النهضة للطبع.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، جـ١، ص ١٧٠، الناشر، دارالمعارف، بيروت لبنان.

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، بويع بالخلافة في اليوم الذي قبض فيه رسول الله - ﷺ - وتوفي يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

ابن قتيبة: المعارف، ص ١٦٧ - ١٧١.

(٣) المسعودي: التنبية والإشراف، ص ٢٦٣، طبعة ١٩٨١، الناشر، دار الهلال.

ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٤٧، تحقيق، قاسم السامرائي، طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الناشر دار العلوم.

ومع أن الأمويين كانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم، إلا أن بعضهم قد بقيت فيه أثارٌ من الجاهلية، وقد بدا هذا واضحاً في أبي سفيان بن حرب[1] عندما بلغته بيعة أبي بكر، فقد لعبت برأسه النعرة الجاهلية والعصبية القبلية، وظن أن الخلافة إنما تنال بذلك.

فذهب إلى علي والعباس[2] وراح يلومهما على خروج الأمر بعد وفاة النبي - عليه السلاة والسلام - من أيدي عبد مناف إلى بني تيم، ومن يده ويدي عمه العباس إلى أبي بكر، وبين عبد مناف وبني تيم ما بينهما من التفاوت في الشرف والمجد[3]. ولم يكتف أبو سفيان - رضي الله عنه - بهذا اللوم لكل من عليٍّ والعباس لخروج الخلافة من بين أيديهما، وإنما هدد وتوعد وزعم أنه قادر على أن يضرم المدينة على أبي بكر ناراً وأن يملأها عليه

(١) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. أسلم قبل فتح مكة. وولاه الرسول على صدقات الطائف وتوفي في المدينة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة.
ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، طه محمد الزيني، جـ٥، ص ١٢٧.
الأصفهاني: كتاب الأغاني، جـ٦، ص ٣٢١.

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يكنى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس، وكان العباس أسن من رسول الله - ﷺ - بسنتين وقيل بثلاث سنين.
ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٦، ص ٣٠ - ١٠.

(٣) ونستدل على ذلك من المحاورة التي كانت بين أبي بكر وأبي سفيان حيث أنه بلغ أبا بكر - رضي الله عنه - عن صخر بن حرب أمر، فأحضره وأقبل يصيح عليه، وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر، فقال لقائده: على من يصيح ابني؟ فقال له: على أبي سفيان، فدنا من أبي بكر وقال له: أعلى أبي سفيان ترفع صوتك ياعتيق الله؟ فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار وقال له: يا أبت إن الله قد رفع بالإسلام قوماً وأذل به آخرين.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٢/ ٢٩٩.

خيلاً ورجالاً[1]. ومضى في غضبه هذا إلى حد أنه قد وصف كلاً من عليّ والعباس بالرضا والذل والصبر على المهانة والضيم وتمثل في هذا بقول الشاعر: [2]

ولن يقيم على خسف يراد به ... إلاّ الأذلاّن عير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

ولم يكن أبو سفيان وحده فارس هذه الحلبة وإنما ثمة أمويون آخرون ومنهم على سبيل المثال: خالد بن سعيد[3] الذي راح هو الآخر يحرض عليًا على أبي بكر ويبذل له العون للخروج من طاعته أو الإصرار على رفض مبايعته[4] وينبغي أن يكون ملاحظاً أن هؤلاء الأمويين لم يكونوا يريدون أن يلي علي أو العباس الخلافة حباً في البيت الهاشمي، ولا رغبة في أن يلي هذا البيت أعباء هذا المنصب الجليل، وإنما فعلوا ما فعلوا من باب العصبية القبلية والنعرة الجاهلية.

ومن يدري فلعلهم كانوا يتوقعون من وراء هذا الشغب أن يجدوا ثغرة يصلون منها إلى الطلب بالخلافة على أساس أن الهاشميين والأمويين كليهما

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٢٠٩.
(٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٠٩.
ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص ٢٢٠.
وهذه القصيدة للشاعر المتلمس وهو: جرير بن عبدالمسيح بن عبدالله بن ربيعة، وهو من شعراء الجاهلية.
الأصفهاني، كتاب الإغاني، جـ٢٣، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.
(٣) خالد بن سعيد، سبقت الترجمة له.
(٤) كان خالد من عمال رسول الله - ﷺ - فقدم وقد توفي رسول الله - ﷺ - فامتنع عن البيعة ومال إلى بني هاشم ورفض العمل لأبي بكر. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٢٦ - ١٣٣.

من بني عبد مناف[1]. وحجتنا في هذا ما كان من علي نحو أبي سفيان فور هذا التحريض. فقد اتهمه بالغش وفوت عليه الغرض الذي كان يسعى إليه وقال له: يا أبا سفيان إن المؤمنين نصحة بعضهم لبعض، وإن المنافقين غششة بعضهم لبعض، وإنا قد رأينا أن أبا بكر لها أهل[2].

وأمام هذا الإخفاق، وشعور الأمويين بأن منزلتهم قد تأخرت كثيراً عما كانوا عليه في الجاهلية - بالنسبة لبني هاشم - وذلك بمعاداتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وتخلفهم عن القتال تحت لوائه، ألقوا بأنفسهم في ميادين الجهاد، وحرصوا على أن يتلافوا مافات بقتال الكفار، والاستبسال في كل ميدان من ميادين الحرب والضرب، واستطاعوا أن يكتبوا لأنفسهم صفحات مليئة بالمفاخر والمناقب، الأمر الذي حفز الشيخين أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما -إلى الاستعانة بهم والاعتماد عليهم، وإسناد الكثير من المناصب السياسية والقيادية إلى رجالاتهم. ومن هؤلاء على سبيل المثال يزيد ابن أبي سفيان[3]. وأخوه معاوية[4] وخالد بن سعيد، والوليد بن عقبة،

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، ص ٥٧.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٢١٠.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٢٢٠.

(٣) يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، كانت له صحبة، واستعمله أبو بكر على الشام، ثم أقره عمر بعد أبي بكر، ومات بالشام سنة ثمان عشرة هجرية.
ابن قتبة: المعارف، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١١١.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه هند بنت عتبة أسلم يوم عمرة القضاء، وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين، ومات في دمشق سنة ستين هجرية.

وغيرهم ممن تبوّؤوا أرفع الوظائف السياسية والحربية في عهدي الصديق والفاروق. وطعن عمر - رضي الله عنه - وجاء المسلمون[1] يسألونه أن يستخلف عليهم رجلاً، وتردد - رضي الله عنه - بين الشورى والاستخلاف وقال في ذلك كلمته المشهورة: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، وخطر في نفسه أن يلقي ما على كاهله على كاهل علي[2] - رضي الله عنه -. غير أنه خشي إن هو فعل ذلك أن يحمل بني هاشم على رقاب الناس. وألف - رضي الله عنه - مجلساً من ستة نفر وهم: علي، وعثمان، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير ابن العوام، وطلحة بن عبيدالله، ووضع شروطاً لأعمال هذا المجلس، وجعل اختيار الخليفة من بين أعضائه بالاقتراع فإن اختار أربعةٌ رجلاً، وأبى رجلٌ واحدٌ قطعت رأسه وإن كانوا ثلاثة حكم بينهم عبدالله بن عمر، فإن أبوا أن ينزلوا على حكمه كانت الخلافة في الطرف الذي فيه عبدالرحمن بن عوف[3].

البغدادي: المحبر، ص ٢٠.

التميمي: الفرق بني الفرق، ص ١٧ - ١٨.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٧.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٨.

ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٢٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٧.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٢٨.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٧.

وقد كان عمر - رضي الله عنه - لا يشك في أن الخلافة صائرة إلى أحد الرجلين علي، أو عثمان، ولهذا فإنه اجتمع بكلٍّ منهما وأوصاه: إن هو آل الأمر إليه أن يتقي الله ولا يحمل أقاربه على رقاب الناس، وقبل أن يجتمع المجلس للتشاور اجتمع العباس[1] بن عبد المطلب بعليٍّ، وعرض عليه أن يعتزل أعمال هذا المجلس، ولما رفض عليٌّ هذا الاقتراح، عرض عليه اقتراحاً آخر وهو: أن يرفض كل ما يعرض عليه، إلا أن يضعوا مقاليد الخلافة بين يديه، وكما رفض عليٌّ الاقتراح الأول، فإنه رفض كذلك الاقتراح الثاني، ووجة نظره - رضي الله عنه - هي أنه إذا قاطع أعمال مجالس عمر، فإنه يكون قد أقصى نفسه نهائياً عن الخلافة، وهذا ما لا يريده، وإن رفض كل ما يعرض عليه إلا الإمرة وقع تحت طائلة العقاب الصارم الذي حدده عمر للمخالف وهو ضرب العنق. ومع أن عليًا قد كان في موقف لا يحسد عليه كما رأينا فإنه قد كان على ثقة من تكتل بطون قريش[2] ضد بني هاشم على أساس أن الخلافة إذا صارت إليهم تداولوها فيما بينهم، وإذا صارت إلى بني هاشم بقيت فيهم ما بقي منه طارق، وجاء في إحدى الروايات أن أبا سفيان - رضي الله عنه - قد اجتمع هو الآخر قبل انعقاد المجلس، وأوصى قومه بالجد في طلب الخلافة، وأمرهم أن يتداولوها بينهم تداول الكرة. ومن هذا العرض الموجز تبين لنا: أن البيتين الهاشمي والأموي قد وقفا وجهاً لوجه يطلبان الخلافة ويتنافسان على الأخذ

= ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٣، ص ٦١.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٢٣٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢٣٣.

بمقاليدها. واجتمع المجلس واقترح عبدالرحمن بن عوف[1] على أعضائه أن يتنازل أحدهم عن الخلافة على أن يتولى الاختيار للمسلمين، ولما رفض هذا الاقتراح، اقترح اقتراحاً ثانياً وهو: أن يتنازل هو عن الخلافة ويقوم بالاختيار، وقبل المجلس كله هذا الاقتراح ما خلا علياً فإن الشكوك قد أخذت تساوره في نية عبدالرحمن، وأبى أن يعطيه الميثاق على الطاعة حتى يأخذ منه ميثاقاً ألا يحابي ذا رحم على رحم[2].

وجاء في إحدى الروايات: أن عبدالرحمن قد استشار الناس فقد صيرهم فريقين أحدهما: إلى جانب عليٍّ، والآخر: إلى جانب عثمان، وهذا ما يؤكد ما ألمحنا إليه آنفاً من وقوف البيتين الهاشمي والأموي وجهاً لوجه، ومحاولة كلٍّ منهما استقطاب الناس إلى جانبه، ويزيد هذه القضية تأكيداً: أن المسلمين لما اجتمعوا في المسجد في اليوم الرابع من استشهاد عمر، وهو اليوم الذي أمر ألا يمضي حتى يتم اختيار الخليفة، وتنادى الأمويون مطالبين عبدالرحمن أن يعهد بالأمر إلى عليٍّ[3]. وتمت بيعة عثمان على أساس موافقتة على العمل بسيرة الشيخين دون علي، ومع أن أبا الحسين - رضي الله عنه - قد بايع عثمان، إلا أن وقع هذه البيعة لم يكن سهلاً على علي خاصة، ولا على بني هاشم على وجه العموم[4]. لا سيما وأن علياً لم يكن مستريحاً إلى تفويض الأمر إلى عبدالرحمن بن عوف.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣١.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أخذت العلاقة تأخذ طريقها نحو التوتر بين بني هاشم وبين بني أمية، ومرجع هذا - فيما أرى - إلى سببين:

أحدهما: أن عثمان - رضي الله - عنه قد كان أحد أعضاء البيت الأموي، بل لقد كان شيخ هذا البيت: وملجأ أفراده، فقد كان يحب أهل بيته ويبذل قصارى الجهد في حمايتهم ورعاية شؤونهم، ولا جدال فيما كان من تولي عثمان شؤون الخلافة، وهو من هو في بني أمية من الأثر على الهاشمية وإذكاء نار الحقد والغضب في أعماق نفوسهم. وقد بدا هذا واضحاً فيما كان من المقداد بن عمرو[1] وأبي ذر الغفاري[2]. وغيرهما من إظهار ما في أنفسهم من الندم في مسجد النبي - ﷺ - على خروج الأمر من أهل بيت النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى بني أمية، وتكرر ذلك حتى اضطر عثمان - رضي الله عنه - إلى التدخل، وإنزال العقوبة بمن يصنع هذا الصنيع.

والسبب الثاني: أن عثمان لما تولى شؤون الحكم صار في بني هاشم سيرة الشيخين من قبله في إبعادهما عن المناصب السياسية والقيادية، وزاد على ذلك: إسناد هذه المناصب إلى أقاربه وأهل بيته فكان على مصر[3] عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان على البصرة[4] عبد الله بن عامر بن كريز،

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٦٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٢٨٣.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص ٣٤.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، جـ٤، ص ٤٢١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٤٥.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٩٥.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٢١.

وعلى الكوفة[1] الوليد ثم سعيد بن العاص من بعده، وكان على أقاليم الشام الأربعة[2] معاوية بن أبي سفيان. وحتى سوق المدينة فإنه أسنده إلى الحارث بن الحكم، وقد كان هؤلاء جميعاً من بني أمية، وكانت الأموال في أيديهم بطبيعة الحال، وكان بنو هاشم ينظرون إلى ذلك فتضيق صدورهم من الخليفة، ويكثرون من لومه وشجب سياسته.

وإذا استعرضنا ما كتبه الطبري[3] وغيره من الحوار الذي كان بين علي وبين عثمان حول قصر المناصب الكبرى في الدولة على أقاربه، تبدت لنا هذه الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

وثمت أسباب أخرى زادت هذه العلاقة وهناً على وهن منها: تناوح رياح الفتنة، وخروج الثوارمن مصر، والكوفة، والبصرة، لما طالبت الخليفة بتعديل هذه السياسة، وقطع دابر الأسباب التي أدت إلى اشتعال نيران الفتنة، فقد كان عليٌّ - رضي الله عنه - في هذه الظروف في موقف لا يحسد عليه، كان غير راضٍ عن سياسة عثمان[4]، وكان في الوقت نفسه مضطراً إلى الدفاع عنه[5] والوقوف إلى جانبه. ومع أن الأمويين لم يكونوا ممن يحسن النصح للخليفة، ويعمل على رد السوء عنه، فقد كانوا لا يثقون في علي[6]. وكانوا يتهمونه علناً بأنه هو السبب فيما يعاني منه الخليفة من النقد واللائمة.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٤٢١.
(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٢١.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.
(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٢.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٤.
(٦) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٤.

وتجمع الروايات: على أن عليًا على الرغم من معارضته لسياسة الخليفة قد ساندهُ[1] وبذل قصارى الجهد في نصحه والدفاع عنه، حتى أصبح على يقين من أنه لا يستطيع الاستمرار على هذا الموقف ما دام بنو أمية يقودونه كما يقاد جمل الظعينة بعد كبر السن وطول الصحبة على حد قوله.

وقد أخذت العلاقة بين بني هاشم، وبين بني أمية تنتقل من سيئ إلى أسوأ في هذا العهد حتى بلغت الغاية عند استشهاد أمير المؤمنين عثمان، فقد اتهم الأمويون صراحة عليًا وبني هاشم بالتخلي عن عثمان، بل وبالمشاركة في دمه وفي هذا يقول شاعرهم[2]:

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تذهبوه لا يحل تناهبه
بني هاشم إلا تردوا فإننا
سواء علينا قاتلوه وسالبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه
كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وواضح من هذه الأبيات وغيرها مما أنشده الأمويون فور مقتل ذي النورين أن بني أمية لم يكتفوا بلوم بني هاشم وحسب، وإنما اتهموهم بنهب سلاح الخليفة، وسفك دمه، وهذه مرحلة من العلاقة لم يهبط إليها هذان البيتان من قبل ذلك.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٢.

(٢) هذه الأبيات: للوليد بن عقبة بن أبي معيط، آخي عثمان لأمه قالها: في رثاء عثمان بن عفان. المسعودي: مروج الذهب، جـ ٢، ص ٣٤٧.

وبويع أمير المؤمنين علي، وشعر الأمويون بأن الخلافة قد خرجت من أيديهم. وفكروا فيما ينبغي أن يفعلوه تجاه علي خاصة، وتجاه البيت الهاشمي على سبيل العموم[1].

ويختلف الروا ة فيما كان من الأمويين في المدينة فيذهب منهم فريق[2] إلى أنهم قد هربوا فور استخلاف علي فأوى إلى مكة منهم فريق، وأوى إلى الشام حيث كان يحكم معاوية منهم فريق آخر.

ويذهب اليعقوبي[3] إلى أن مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، قد اجتمعوا بعلي وذكروه بما كان منه تجاههم في بدر وغيرها من غزواته تحت لواء النبي - عليه الصلاة والسلام - وعرضوا عليه البيعة على أن يخلي بينهم، وبين ما في أيديهم، وأن يقتل قتلة صاحبهم، وأبى عليٌّ - رضي الله عنه - إلا أن يسير فيهم سيرته في غيرهم.

وقد انتهى هذا الاجتماع بتظاهر هؤلاء الوجوه بالبيعة ثم إنهم ما لبثوا أن هربوا.

وهذه الرواية الثانية في نظري هي الصحيحة؛ لأن الأمويين ما كان لهم أن يفارقوا علياً حتى يحتاطوا لأنفسهم، فلما لم يجدوا عنده ما يريدون

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٣٥٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ١٠٧.

(٢) ابن قتبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٤٧ - ٥٣.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٤٤٨.
ابن الأثير الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٩٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ١٧٨.
المسعودي: مروج الذهب، جـ ٢، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

لم يجدوا بداً من إشعال نار الفتنة، ورفع لواء العصيان وهذا هو ما كان، فإن فريقاً[1] من بني أمية وعلى رأسهم مروان بن الحكم، قد أقبلوا إلى مكة، وراحوا يحرضون الزبير، وطلحة، وأم المؤمنين عائشة، على الطلب بثأر الخليفة المقتول ويصورون لهم ولسائر الناس هناك ما ارتكبه الثوار من البشاعة، وكيف أنهم قتلوا عثمان في الشهر الحرام، والبلد الحرام وهو صائم يقرأ القرآن [2].

ولم يكتف هؤلاء الأمويون بالتحريض، والتزمير وحسب، وإنما بذلوا النصح والمال حتى تأججت نار الفتنة، وحتى انطلق الغاضبون وعلى رأسهم طلحة، والزبير، وأم المؤمنين عائشة إلى البصرة.

وفي الشام[3] أوى الفريق الآخر من الأمويين ومعهم قميص عثمان ملطخ بدمائه، وعليه أصابع امرأته التي قطعت وهي تحميه وتدافع عنه. ونصبوا هذا القميص على أعواد المنبر في مسجد دمشق. وراحوا يحرضون الناس ويثيرون حفائظهم على الهاشميين عامة، وعلى عليٍّ منهم خاصة، على أساس أنهم قد شاركوا في قتل ذي النورين - رضي الله عنه - أو قصروا في حمايته على الأقل.

وكان معاوية ينتظر سنوح هذه الفرصة، فقد كان كبير بني أمية من جهة، وكان شديد الرغبة في الوصول إلى الخلافة من جهة ثانية، وبلغه عزل

---

(١) المسعودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٥٧.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٨٦.

(٢) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٨١.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٤٤ - ٥٦٢. =

علي له ولغيره من ولاة عثمان، فزاده ذلك إصراراً على الطلب بدم الخليفة المقتول، وأعلن أنه وليه وأحق الناس بالمناداة بالقصاص من قتلته ومن أجل هذا فإن عليًا لما كتب إليه يدعوه إلى الدخول في طاعته لم يذعن له ، وأعاد رسله إليه، ومعهم كتاب منه ليس فيه سوى هذا البيت من الشعر[1].

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكُلى وضرب الركاب

ومع أن معاوية كان يعلم أن الحرب بينه وبين عليٍّ أمرٌ لا شك فيه، فإنه قد آثر التريث والانتظار حتى يرى ما يكون بينه وبين طلحة، والزبير، وعائشة وكان على يقين من أن أحد الفريقين سوف لا ينتصر على صاحبه إلا بعد أن يفل عزمه، وتضعف قوته، ويكون قتاله بعد ذلك هيناً لا مشقة فيه[2].

وانتصر أمير المؤمنين عليٌّ، ولكن بعد ما كان قد ضعف رجاله، واتسعت الهوة بين أهل الكوفة وأهل البصرة وهما من رعيته.

وقد تغير موقف معاوية[3]. من بيعة علي، فبعدما كان يبدي استعداده للدخول فيها إذا هو قتل قتلة عثمان، راح يطلب علياً بهذا القصاص، وشيء آخر وهو : اعتزال الخلافة ورجوع الأمر شورى يختار المسلمون لأنفسهم من يشاؤون. وباتت الحرب أمراً لا شك فيه، ولاسبيل إلى تجنبه

= طلس: تاريخ العرب، جـ١، ص ٢٢٣، الناشر دارالأندلس.
بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين، منير البعلبكي، ص ١١٢، الناشر، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٥٦١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٤٤١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٥٦٣.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ٩١.

وتفاديه، ودارت بين الفريقين معركة كانت كفة عليٍّ فيها هي الراجحة.

غير أن معاوية[1] قد استطاع أن يبعد عنه ثمرة هذا النصر بعدما أوشكت أن تسقط بين يديه.

وذلك برفع المصاحف على أسنة الرماح، ودعوة أهل العراق إلى تحكيم القرآن بينهم، وبين أهل الشام.

وليس من منهجي هنا أن أناقش قضية التحكيم وما أسفرت عنه، تلك مسألة تحتاج إلى طول تأنّ وانتظار، وإنما يكفيني أن أقرر أن هذا التحكيم قد كان في صالح معاوية، ولم يكن في صالح علي، وقد انقسمت جنود هذا الأخير واشتعلت نار الحرب بينهم. وانتهز معاوية هذه الفرصة فراح يغير على أطراف دولة علي ويستقطب وجوه قادته ورجاله، واستطاع أن يضع يده على مصر[2] وأن يشعل نار العداوة بين الأزد وتميم في البصرة[3] وأن ينشر الخراب في الحجاز واليمن[4] وكان لهذا كله أثره العكسي على جنود علي. فقد ضعفوا وتخاذلوا، ولم يعودوا كما كانوا طوع أمره ورهن مشيئته.

---

(١) ابن قتيبة: المصدر السابق، جـ١، ص ١٠١ - ١٠٢.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٨٨.
اليماني: كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، ص ٣.
فتحية النبراوي: دراسة في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٣٠٣ - ٣٠٤، الناشر، الإدارة العامة لكليات البنات، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التايخ، جـ٣، ص ١٧٧.
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٣، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم، والملوك، جـ٥، ص ١١٠ - ١١٢.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ١٣٤ - ١٣٩.

وأخيراً عرض معاوية على عليٍّ اتفاقية مؤداها[1] أن تقسم دولة الإسلام بينهما فتكون الشام، ومصر. من نصيب معاوية، ويكون الحجاز، والعراق من نصيب علي، وقبل أن ينتهي هذا السعي إلى نتيجة، راح عليٌّ ضحية مؤامرة خارجية[2] استهدف ناسجوها قتل علي ومعاوية وعمرو ابن العاص.

وقد نجحت هذه المؤامرة في قتل أبي الحسن - رضي الله عنه - دون صاحبيه، وجاء الحسن بعد أبيه، فلم يبق على أريكة الخلافة سوى ستة أشهر حتى تبين له أن الانتصار على معاوية ليس بالأمر السهل، وأن الخير له، وللمسلمين جميعاً أن يصالحه، ويدخل في طاعته. وهذا هو ما كان فقد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية[3].

(جـ) بين العباسيين والأمويين:

وينتهي هذا الطور المتوتر من العلاقة بين البيتين الهاشمي، والأموي، ليدخل مرحلة أخرى من الصراع الذي انتهى بالإجهاز على البيت الأموي على أيدي بني العباس. ولتوضيح هذا الطور الذي ألمعنا إليه، نقول: إن الصراع لم ينته بين العلويين وبين بني أمية باستشهاد علي[4]، وتنازل الحسن

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٥، ص ١٤٠.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ١٣٧ - ١٣٨.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢١٢.
الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص ٢٩ - ٣٣، تحقيق، السيد أحمد صقر، الناشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ٤٠ - ٤١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ١٤١ - ١٤٣.
ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص ١٨٣ - ١٨٤.

من بعده عن الخلافة لمعاوية[1] وإنما راح العلويون يناوئون بني أمية، ويشرعون السلاح في وجوههم، وعلى العكس من ذلك تماماً كانت العلاقة بين الأمويين، وبين بني العباس. فقد هادنوهم وبايعوهم وتفيئوا ظلال حكمهم طوال القرن الأول الهجري، فلم يرو التاريخ أن العباسيين قد شاطروا أبناء عمهم العلويين في حرب، أو وقفوا إلى جانبهم في معركة، وكل ما كانوا يفعلونه إذا نزلت بالعلويين كارثة أو أصابهم على يدي الأمويين مكروه أن يتظاهروا بالحزن من أجلهم، والسخط على ما نزل بساحتهم، والدليل على هذا[2] هو أن عبدالله بن عباس قد غاضب عليًا، وترك العمل له بالبصرة، وولى وجهه شطر مكة، وأن أخاه عبيدالله [3] قد تخلى عن الحسن في أحرج الظروف، وترك الجيش الذي عهد إليه بقيادته، وخرج ليلاً إلى معاوية فصالحه، ووضع يده في يده.

وفي خلافة معاوية، كان العباسيون وعلى رأسهم عبدالله بن عباس يأتون إلى دمشق ويجالسون معاوية ويقبلون عطاياه وجوائزه.

وأوضح من هذا وأظهر، أن عبدالله بن عباس، قد بايع يزيد بن معاوية بولاية العهد في حياة أبيه، وبايعه بالخلافة فور توليه شؤون هذا

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص١٦٣ - ١٦٤.
ابن الأثير: الكمال في التاريخ، جـ٣، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ١٤١، ١٤٣.
ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص١٨٣، ١٨٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ١٦٣، ١٦٤.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

المنصب الكبير، ولم يسلك في هذه البيعة مسلك الحسين بن علي، وعبدالله ابن الزبير، اللذين رفضا بيعة يزيد بولاية العهد، وبيعته بالخلافة بعده[1].

وكل ما فعله ابن عباس، هو أنه رفض التعاون مع يزيد على ابن الزبير حينما كتب إليه يطلب منه ذلك، ولامه على إزعاجه للحسين حتى اضطره إلى قتله وآله ورجاله على ثرى كربلاء[2].

وهذا هو موقف لو لم يتخذه ابن عباس من يزيد، لكان موضعاً للمؤاخذة واللوم. إذ كيف يمد يده لمصافحة قاتل أهل بيته من أبناء علي، ومظاهرته في مناوءة عدوه.

وهكذا كانت العلاقة بين بني أمية وبين العباسيين في العهد السفياني، علاقة قائمة على المهادنة، بل وربما على الود والصداقة، ومرجع هذا فيما أرى أن العباس بن عبدالمطلب، وأبا سفيان صخر بن حرب قد كانا صديقين في الجاهلية، وكانا صديقين في الإسلام، كذلك فإن العباس هو الذي لفت نظر أبي سفيان إلى قوة النبي - عليه الصلاة والسلام - وأنه لا سبيل إلى أن يهزم من قبل قريش في فتح مكة، والعباس هو الذي حمى أبا سفيان من بطش عمر، ووقف إلى جانبه حتى نطق بالشهادتين[3]. والعباس هو الذي قال: للنبي - عليه الصلاة والسلام - فور إسلام أبي سفيان يا رسول الله إن

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ١٧٣ - ١٧٤.
البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢٤٧ - ٢٥٠

(٣) المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، ص ١٢.

أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال - عليه السلام - من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[1]. ثم إن العباسيين قد انضموا إلى جانب عليٍّ عندما كانت القوة إلى جانبه، وكانت ولايات الأقاليم في عهده إليهم[2]. فلما هبط نجمه، وطاش سهمه رأوا أن السياسة تتطلب منهم الانصراف عنه، والانضمام إلى الغالب. وهذا هو الذي يفسر لي استقالة عبدالله بن عباس من حكومة عليٍّ وانضمام أخيه عبيدالله إلى معسكر معاوية.

وجاء العهد المرواني، وقد دخل العباسيون في طاعة خلفاء هذا البيت، وتفيؤوا ظلال مودتهم، غير أن العلاقة لم تكن بينهما كما كانت بينهم وبين السفيانيين، ومرجع هذا إلى أن عليّ بن عبدالله بن عباس، قد تزوج من مطلّقة عبدالملك[3] وأن هذا الزواج قد فتح باب الشر والعداوة بين الرجلين، وأطلق لسان كل منهما في عيب الآخر، وإشاعة قالات السوء فيه، ولأن عداوة الآباء يرثها الأبناء فإن الملوك من أبناء عبدالملك قد كانوا يكرهون عليّ بن عبدالله بن عباس خاصة، ويكرهون العباسيين على سبيل العموم.

وقد انتهز سليمان بن عبد لملك النزاع الذي كان بين علي وبين سليط ابن عباس فاتهم الأول بالمشاركة في قتل الثاني وحبسه وضربه بالسياط[4].

---

(١) الإمام مسلم: صحيح مسلم، جـ ٤، ص ٤١٨.
الواقدي: المغازي والسير، جـ ٢، ص ٨٢٢ - ٨٢٣.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٤، ص ٢٩١.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ١٧٩.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ١٥٥.

(٣) المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، ص ١٥.

(٤) المقريزي: المصدرالسابق، ص ١٥.

ولم يكتف بهذا وحسب، وإنما حرم عليه مساكنته في دمشق، وأنزله هو وأهل بيته في قرية اسمها الحميمة[1] وسار هشام بن عبد الملك مع العباسيين سيرة أخيه سليمان، فاتهم علياً بطلب الخلافة، وأمر به فضرب بالسياط بين يديه.

وهكذا ساءت العلاقة بين العباسيين، وبين البيت المرواني، وباتت تنذر بالشر، وترهص بالخطر.

(١) الحميمة: بلد من أرض الشراه، من أعمال عَمَّان في أطرف الشام. وكانت منزل بني العباس. ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٠٧.